التضمين عند النحاة

م.م. فائز رمضان لعيبي

كلية الإدارة والاقتصاد / جامعة ميسان

رقم الموبايل : 07705555516

الإيميل : Faiz84.ri.gimail.com

الملخص

يتناول هذا البحث أسلوب التضمين عند النحاة ، ويهدف إلى دراسة هذا الأسلوب عن طريق تعريفه لغة واصطلاحا ، ثم يبين لنا من تطرق له أولا من النحاة وهو ابن سلام الجمحي في كتابه طبقات فحول الشعراء ، حيث ذكره في أكثر من موضع ، وبين لنا البحث ما الغرض من أسلوب التضمين في تفسير الكثير من المعاني في القران الكريم والشعر العربي ، فالتضمين يدخل على الأفعال والأسماء والحروف ، وفسر لنا طبيعة الاختلاف إذا ما كان التضمين قياسيا أو سماعيا ، فقد اختلف القدماء في طبيعة التضمين ، وكان اختلافهم في قياسية التضمين وعدمها ، فكان فريق منهم يجد أن التضمين مجاز ، بينما نجد فريقا أخر يرى إن التضمين حقيقة ، لكن الكفة كانت تميل إلى قياسية التضمين ، ومن ثم تناول البحث اختلاف النحاة في حقائق التضمين ، وقد استخدم في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي عن طريق دراسة بعض الشواهد النحوية في القران الكريم والشعر العربي .

الكلمات المفتاحية : التضمين ، النحاة.

Inclusion at grammarians

Assistant Lecturer faiz ramadhan luaibi

College of Administration and Economics/

mobile number : 07705555516

Email: **Faiz84.ri.gimail.com**

Summary:

This research deals with the method of embedding among the grammarians, and it aims to study this method by defining it linguistically and idiomatically. From the method of embedding in the interpretation of many meanings in the Noble Qur'an and Arabic poetry, the embedding enters into verbs, nouns and letters, and he explained to us the nature of the difference if embedding was syllogistic or auditory. He finds that embedding is a metaphor, while we find another group that believes that embedding is a fact, but the balance was inclined to standard embedding, and then the research dealt with the grammarians' difference in the facts of embedding. Arabi.

Keywords: Inclusion, grammarians.

المقدمة:

الحمد للهِ رَبّ العالمين، والصلاة والسلام على خير البشريـــة محمد صلى الله عليه واله وصحبه وسلم ، أما بعد :

يُعد التضمين من الأساليب التي جرى الخلاف فيها بين نحاة البصرة والكوفة ، إذ رفض نحاة البصرة أن يكون لحرف الجر أكثر من معنى وبذلك رفضوا القول بتناوب حروف الجر ، الذي قال به نحاة الكوة وتابعهم في ذلك آخرون فتشكل الخلاف في بينهم في التضمين وأخذ يتسع .

ولكثرة الأساليب اللغوية التي استخدمها العربي في كلامه لإصابة القصد منه، وبيان المعنى. عُد أسلوب التضمين أحد هذه الأساليب التي وردت في القرآن الكريم، والحديث الشريف، والتراث الشعري والنثري في عصر الاحتجاج، والعصور اللاحقة ..

ولأسلوب التضمين حضوره لدى الأدباء والكتّاب في التعبير عن أفكارهم ، وتأليف صورهم ومعانيهم، وعلى أساسه فسّر علماء النحو والبلاغة جانباً مهماً من الدلالات اللغوية بين عناصر التركيب، فوجهوا الإعراب والدلالة الصرفية والعناصر الجمالية على وفق مفهومه.

إن أسلوب التضمين متداول في لغة العرب، وجار على ألسنتهم ، فقد خاض به المفسرون ولا سيما المتأخرون منهم ، فدخل في كثير من المجالات ، والألفاظ ، منها ما دخل على حروف المعاني ليظهر رمزيتها ، ويوضح بها الحرف مع الفعل .

وأسلوب التضمين أحد أشهر أساليب العربية التي تناولها المفسرون في الآيات القرآنية الكريمة والشعر، إذ أنه يأتي بعد أسلوبي الحذف والإضمار في علم البلاغة من حيث الأهمية[1] ، إذ إن التضمين لا يأتي في كلام العرب إلا لفائدة زائدة كما قال السيوطي، لتؤدي الكلمة فيه مؤدّى كلمتين كما قال ابن هشام النحوي ، وهو بحر لا ينضب كما عند ابن جني في خصائصه .

أولاً : التضمين لغةً :

([1]) الإتقان في علوم القرآن ، السويطي ، 144/2 .

وهو جعل الشيء في شيء يحويه ، ومن ذلك قولهم : ضمنت الشيء ، إذا جعلته في وعائه [1] .

وكذلك في لسان العرب : التضمين هو : ((ضمن الكفيل ، ضمن الشيء وبه ضمناً : كفل به ، وضمنه إياه : كفله ، ويقال : ضمنت الشيء أضمنه ضماناً ، فأنا ضامنٌ وهو مضمون)) [2] .

في الصحاح فهمت ما تضمنه كتابك ، أي ما أشتمل عليه وكان في ضمنه[3]. وكذلك في المعجم الوسيط أن الضمن هو : باطن الشيء وداخله : يفهم من ضمن كلامه كذا : أي دلالته ومراميه [4] ،

وجاء أيضاً على أنه : " ضمن الشيء وبه كلام ضماناً وضمناً فهو ضامن وضمين كفله ، وضمنته الشيء تضميناً عني : غرمته فألتزمته ، وما جعلته في وعاء فقد ضمنته إياه "[5] .

وفي تاج العروس إذ جاء الزبيدي بتعريف معنى التضمين في قوله : " ضمنته الشيء تضميناً ، فضمنته عني أي غرمته فألتزمته ، وضمن الشيء إذا أودعه إياه ، كما تودع الوعاء المتاع ، والميت والقبر ، وقد تضمنته هو " [6] .

ثانياً : التضمين اصطلاحا :

([1]) مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس الرازي ، تحقيق : عبد السلام هارون ، دار إحياء التراث العربي ، ط1 ، 2002 ، 292/3 .

([2]) لسان العرب ، أبن منظور ، محمد بن جمال الدين الأنصاري الأفريقي المصري ، تحقيق : عبد الله على الكبير وآخرون ، دار المعارف ، القاهرة ، د.ط ، د.ت ، مادة (ض م ن) ، 2613/4 .

(3) ينظر: الصحاح ، تاج اللغة وصحاح العربية ، إسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، دار الملايين ، بيروت – لبنان ، 1984 : 2155/6 .

(4) المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى وآخرون ، دار الدعوة للطباعة والنشر ، أستانبول ، ط1 ، 1998 ، مادة : 545/1 .

([5]) القاموس المحيط ، الفيروز آبادي محمد بن يعقوب بن محمد أبو طاهر مجد الدين الشيرازي ، دار البابي الحلبي وأولاده للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، ط2 ، مادة ضمن 146/7.

([6]) تاج العروس ، الزبيدي ، محمد بن محمد بن محمد أبو الفيض ، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان ، د.ت : 334/34 .

التضمين في الاصطلاح التوسع في استعمال لفظ يجعله مؤيداً معنى لفظ آخر مناسب له ، فيعطي الأول حكم الثاني في التعدي واللزوم ، وهذا ما أشار إليه سيبويه قائلاً : "مثل ما قال: من كان أخاك، قول العرب ما جاءت حاجتك، كأنه قال: ما صارت حاجتك ، ولكنه ادخل التأنيث على ما ، حيث كانت الحاجة، كما قال العرب : من كانت أمك ، حيث أوقع من على مؤنث وإنما صير جاء بمنزلة كان في هذا الحرف وحده لأنه بمنزل المثل ، كما جعلوا عسى بمنزلة كان في قولهم : ((عسى الغوير أبؤسا)) ولا يقال: عسيت أخانا ، وكما جعلوا لدن مع غدوة منونة في قولهم : لدنً غدوةً ، ومن كلامهم أن يجعلوا الشيء في موضع على غير حاله في سائر الكلام " [1] هذا في ما يخص النحو .

إما في البلاغة فقد جاء التضمين البلاغي يدل على أخذ شاعر قول شاعر آخر وبناء شعره أو بعض شعره عليه ، وأول من حام حول هذا المعنى هو ابن سلام الجمحي في كتابه طبقات فحول الشعراء في أكثر من موضع ، لقد ورد عنده مصطلح الاحتذاء ، إذ قال : ((لما نفد شعر أبي متمم بن نويره جعل أبنه متمم يزيد في الاشعار ويصنعها وإذا كلام دون كلام متمم ، وإذا هو يحتذي على كلامه أي أبيه ، فيذكر المواضع التي ذكرها متمم والوقائع التي شهدها فلما توالى لك علمنا أنه يفتعله)) [2] .

والتضمين عند بعضهم: "إشراب لفظ معنى لفظ آخر، وإعطاؤه حكمه ، لتصير الكلمة تؤدي معنى الكلمتين" [3] ، و "إن الغرض من التضمين إعطاء مجموع معنيين وذلك أقوى من إعطاء معنى واحد" [4] .

وقد جاءت كثير من الأبيات الشعرية حـــــول معنى التضمين ، فقد بين ابن المعتز في كتابه البديع أن التضمين من محاسن الكلام دون أن يعرفه[5] ، وأورد أمثله عليه منها ، قال الأخيطل:

وَلَقَدْ سَمَا لِلْخُرَمِي فَلَمْ يَقُلْ بَعْدَ الوَغَى لَكِنْ تَضَايَقَ مَقْدَمِي [1]

([1])الكتاب ، سيبويه ، عمرو بن عثمان ، تحقيق : عبد السلام هارون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة – مصر ، 1977 : 51/7 .

([2]) ينظر: طبقات فحول الشعراء ، ابن سلام ، ص 40 .

([3]) مغني اللبيب ، 791/2 .

([4]) الأشباه والنظائر : 13/1 .

([5]) ابن المعتز ، البديع ، ص 82 .

والاستزادة كما جاء عند التبريزي في قوله ممن علق على شعر ابي تمام في قوله :

إذا تذكرتك ذكرتني قد ذل من ليس له ناصر[2]

هذا من التضمين الذي يعرفه المحدثون كانوا في الأمر يسمونه استزادة وهو المصراع في شعر قديم ينشده النحويون [3] كما في البيتين :

قَامت تَبْكِيه على قَبْرِه مَنْ لَي مِن بَعْدك يا عامرُ

تَرَكْتَني في الدارِ ذا غُربةٌ قد ذلَ مَن ليس له ناصِر[4]

ونجد من يتبع ابن سلام في توضيح معنى التضمين في بعض أبياتهم الشعرية ، فقد اهتم في حديثة عن معنى التضمين وذلك من خلال الأبيات الشعرية التي كتبها الشعراء من ضمنهم امرؤ القيس ، فقد جاء في كتاب الشعر والشعراء في قول امرئ القيس يصف المرأة قائلاً :

نظرتُ إليكَ بعينِ جازئةٍ حَوراءَ حانيةٍ على طفلِ
نظرتُ إليك بعين جازئةَ في ظلُ باردةٍ من السدرِ [5] .

([1]) المصدر نفسه ، ص 82 .

([2]) ينظر: كتاب شرحا أبي العلاء والخطيب التبريزي على ديوان أبي تمام دراسة نحوية صرفية، رسالة ماجستير ، إيهاب عبد الحميد عبد الصادق سلامة ، ص 346 .

([3]) ينظر: التضمين في التراث النقدي والبلاغي ، ربى عبد القادر أحمد الرباعي ، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها ، جامعة اليرموك ، 1997ص 4 .

([4]) ينظر: البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث، لأبي البركات بن الانباري، تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب ، ص65 .

([5]) ديوان امرئ القيس .

ثالثا : دلالة التضمين في القرآن ومعناه :

إنَّ للتضمين دلالة قرآنية تهدف إلى توضيح معناه ، فقد أوضح البلاغيون معنى التضمين ، فقد يأتي التضمين في معناه البلاغي ، وهو أن يقوم الشاعر بالتضمين من شعر غيره مع التنبيه عليه ، إن لم يكن مشهوراً عند البلغاء ، وكذلك التضمين البلاغي (الاقتباس) وهو أن يكون في الكلام تضميناً من القرآن الكريم كما في قوله تعالى : ﴿ وإذا خلوا إلى شياطينهم ﴾ [1] ، فالفعل (خلا) يكون متعديا بحرف الجر الباء ، أقول: خلوت به أي: انفردت به ، لكن في هذه الآية ضُمِّن الفعل معنى ذهبوا وانصرفوا، فجاء معني الآية: إذا انصرفوا وذهبوا إلى شياطينهم، فقصد بالفعل خلوا معنى انصرفوا، لأنه تعدى بحرف الجر (إلى) ليدل على الفعل المضمر [2] .
وقوله تعالى : ﴿ أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم ﴾[3] فلا نقول: رفث إلى المرأة، لكن لما تضمَّن

الرفث معنى الإفضاء، أي الإفضاء إليهنَّ بالجماع، الذي يُراد به المواقعة جاز ذلك[4] ، وأكد هذا التضمين، قوله تعالى في آية أخرى : ﴿ وقد أفضى بعضكم إلى بعض ﴾ [5]

وكذلك في معنى التضمين في القرآن في قوله تعالى :{ اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ } [6] .

قال الزمخشري : هدى أصله يتعدى باللام أو بـ(إلى) قال تعالى:{ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ}[7] .

([1]) سورة البقرة ، الآية 14 .
([2]) ينظر:التضمين النحوي في القرآن ، الدكتور محمد نديم فاضل ، ص323 .
([3]) سورة البقرة ، الآية 187 .
([4]) ينظر:المصدر نفسه ، ص367 .
([5]) سورة النساء ، الآية 21 .
([6]) سورة الفاتحة :الآية6 .
([7]) سورة الإسراء : الآية 9 .

وقال سبحانه: {وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}[1] . وقد عومل هنا معاملة: {وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ}[2] . أي: منصوب على نزع الخافض . وإما بتضمينه معنى: أَدْخِلْ، وَثَبِّتْ، ومنهم من فرّق بأن ما تعدى بنفسه معناه الإيصال إلى المطلوب، ولا يكون إلا فعل الله، فلا يُسْنَد إلا إليه {لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا} [3] .

وذكر الطبري: اهدنا : ألهمنا الطريق الهادي، دلّنا وأرنا وأرشدنا . وإلهامه إياه هو توفيقه له . والهداية في كلام العرب معناها التوفيق: {وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} أي: لا يوفقهم ولا يشرح للحق صدورهم، والعرب تقول: هديت فلانا الطريق، وهديته للطريق، وهديته إلى الطريق: إذا أرشدته إليه وسددته له، وكل ذلك فاشٍ في منطقها، موجود في كلامها [4] .

وقال أبو حيان : الهداية : إرشاد وتبيين وإلهام ودعاء، والأصل أن يصل إلى ثاني معموليه بنفسه [5].

وقال ابن عباس : أرشدنا للدين الذي ترضاه وهو الإسلام ، ويقال: ثبتنا عليه [6] .

ويذكر البروسوي : عرفنا ما في كل شيء من دلالته على ذاتك، وصفاتك، وأفعالك، وإقبال بالكلية عليك، والإعراضِ عما سواك [7] ، وقال الآلوسي : إن تعدت إلى المفعول الثاني بنفسها كانت بمعنى: الإيصال [8] .

أقول : لقد جاءت الهداية متعدية إلى مفعولين ووردت على لسان المفسرين كما رأينا بمعنى: الإلهام والتوفيق، والتعريف والإرشاد ,والدلالة والإيصال والإدخال والتسديد، وكلها لا تتعدى إلى الثاني بنفسها إلا ألهم .

([1]) سورة الشورى : الآية 52.

([2]) سورة الأعراف :الآية 155 .

([3]) ينظر: الكاشف ، الزمخشري : 67/1 .

([4]) ينظر: جامع البيان ، الطبري :55/1

([5]) ينظر: البحر : 25/1.

([6]) ينظر: تنوير المقباس : 2 .

([7]) ينظر: روح البيان : 21/1.

([8]) ينظر: روح المعاني: 92/1.

ولعل تضمين (هداه) معنى: (سلّكه وأسلكه) والمتعدي إلى مفعولين [1] . يصور مفهوم الهداية هنا على أشرف أحوالها، وأنْوه صفاتها، وإنها التسليك العملي، لا القولي في صراط المُنعَم عليهم، ومَن هؤلاء ؟ إنهم : {مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ } [2] .

لقد منَّ الله على رسوله بعد الفتح فقال: { وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً}[3] ، فليست الهداية كما قالوا: رجاءً أو التماساً أو تعريفاً أو توجيهاً أو إلهاماً أو إرشاداً، بل تسليكاً عملياً، وأيُّ فائدةٍ من معرفة صراط الذين أنعمت عليهم، إن لم يكن لنا من الله تسليك؟ فأُنزلت الهدايةُ على حُكْم التسليك والتسيير على الصراط السوي في مسلك المهتدين، وهذا أكشف عن وجْهِ المعنى، فالمتعدي بحرف اللام أو (إلى) يطلب الوصول إليها ولكنه قد يَشْرُد أو يَزيغ، أما المتعدي بنفسه وإلى مفعولين فيطلب من الله التسليك عليها [4] .

رابعا : التضمين في الأفعال والأسماء والحروف :

يأتي التضمين عند الكثير من المفسرين في الأفعال والأسماء والحروف ولعل ابن قتيبة قد نحى هذا المنحى في كتابه " تأويل مشكل القرآن " وقد عقد باباً بعنوان " دخول بعض حروف الصفات مكان بعض " ، ويستشهد على ذلك بقوله تعالى : ((**وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ**)) [5] فيرى أن حرف الجر " في " بمعنى " على " ، والمعنى : على جذوع النخل ، وبقوله تعالى : ((فاسأل به خبيراً)) أي : عنه ، وبقوله تعالى : ((وما ينطق عن الهوى)) أي بالهوى ، فحرف الجر " عن " بمعنى الباء[6] .

([1]) قال تعالى : {يَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعَداً} الجن : 17 وقال : { فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ } الزمر : 21 .

([2]) سورة النساء : الآية69.

([3]) سورة الفتح : الآية 2.

([4]) ينظر: في المعجم الوسيط : أسلكه المكان: جعله يسلكه .

(5) سورة طه : الآية 71.

([6]) ينظر: تأويل مشكل القرآن : 567

أما ابن هشام في " مغني اللبيب " فقد عبّر عن هذا الباب بالمرادفة [1] ، وأورد طائفة من الآيات على هذا المصطلح . ومن ذلك قوله تعالى : ((**وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ**)) [2] ويرى أن الحرف " عن " مرادف للحرف الآخر " من " . ويسير وَفق هذا الفهم ثلّة من أهل العلم الذين لا يتأمّلون في الفعل الذي سبق حرف الجر ، ولا يرونه متجاوزاً دلالته المعنوية وإنما يرون حرف الجر قد تعاور حرفاً آخر .

أما المذهب الثاني فهو الذي يُطْلق على هذه الظاهرة مصطلح " التضمين " ، ويـــرى أن الفعل قد تضمّن معنى فعل آخر ، وحرف الجــر مَسُوق لإتمام معنى هذا الفعل .

ومن الذين تكلموا بالتضمين في الأفعال ابن هشام ، على الرغم من ذكر الكثير من الشواهد على طريقة تضمين الحروف ، يقول : " قد يشربون لفظاً معنى لفظٍ فيعطونه حكمه ، ويسمى ذلك تضميناً ، وفائدته أن تؤدي كلمة مؤدى كلمتين نحو قوله تعالى:((**وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ**)) [3] ضُمِّن معنى تُحرموه فعدّي إلى اثنين" [4] أي أنهم مهما فعلوا من خير بغض النظر عن حجمه (فلن يكفروه) فالمعنى هنا لن يحرموه أو يفوتوا أجره .

ويقول السويطي : " إيقاع لفظ موقع غيره لتضمن معناه [5] . ويقول الدكتور محمد نديم فاضل : " ترى الحرف مع الفعل فيوحشك الحرف ، ويبقى الفعل قلقاً ، فإذا حَملته على التضمين تمكّنَ الفعل وآنسك الحرف"[6]

كما يكون التضمين في الأسماء نحو قوله تعالى : ((**مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ**)) [7] فقد ضمن النصرة معنى الولاء أو التوجه أو القصد .

وهو يكون في الأسماء بأن يضمن اسم معنى اسم آخر ، ليفيد معنى الاسمين جميعا ، كما ضمن لفظ حقيق معنى (حريص) [8] في قوله تعالى : (**حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلا الْحَقَّ**) [9]

---

(1) ينظر: مغني اللبيب : 148/1

(2) سورة التوبة : الآية 25.

(3) سورة آل عمران : الآية 115.

(4) ينظر: مغني اللبيب : 762/2.

([5]) ينظر: معترك الأقران : 398

([6]) ينظر: التضمين النحوي ، ص 10 .

([7]) سورة آل عمران: الآية 52 .

([8])ينظر:التضمين النحوي في القرآن ، الدكتور محمد نديم فاضل ، ص302 .

([9]) سورة الأعراف: الآية 105 .

خامسا: التضمين بين السماع والقياس:

لقد اختلف القدماء في طبيعة التضمين ، فكان فريق منهم يجد أن التضمين مجاز ، وأن اللفظ استعمل في غير ما وضع بقرينة جعل التضمين سماعياً لأن المجاز عندهم سماعي ، بينما نجد فريقاً آخر يرى أن التضمين حقيقة ، لأن المعنيين قصداً حقيقة جعل التضمين قياسياً [1] .

وقد أستند جمع من العلماء إلى أن التضمين قياسي [2] ، ونقل أبو حيان (745) أن الأكثرين على أنه قياسي[3] .

([1]) ينظر: النحو الوافي ، عباس حسن ، دار المعارف للنشر والتوزيع ، ط3 ، 1974 ، ص 566 .

([2]) ينظر: أسلوب التضمين وأثره في التفسير، الدكتور زيد عمر عبد الله ، ص 37 .

([3]) ينظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب ، أبو حيان ،ج2 ، ص 46 .

و في حين أن الفريق الذي يرى قياسية التضمين يعلل ذلك بكثرة ورود التضمين في اللغة ومن ذلك قول ابن جني عن التضمين : " ووجدت في اللغة من هذا الفن شيئاً كثيراً لا يكاد يحاط به ولعله لو جمع أكثره لا جميعه لجاء كتاباً ضخماً " [1] .

وأما الفريق الذي يرى التضمين سماعياً ، فكان لهم حجة أي أنهم يخشون أن يصبح في لغة العرب فساد واضطراب في معاني الأفعال إذا أباحوا التضمين للناس ، وكان الإسكندري أحمد يعترض على بعض النقاد ويقول : " إنما هو باب واسع يتعلق بجميع الأفعال في اللغة العربية ، ولكننا لا نبيح التضمين على إطلاقه ، لأن هذا يجر الفوضى والفساد في اللغة ولهذا نشترط له شروطاً خاصة " [2] .

ويكمل ذلك الأستاذ حسين والي بقوله : " أما القول بأن التضمين يفتح باب الخطأ والفساد في اللغة فهذا صحيح ، ولكن علاج هذا أن يتعلم الناس قواعد لغتهم التي تعصمهم من الوقوع في الخطأ ، فكما أن إغفال الاشتقاق والتصريف يجر إلى الخطأ فيهما ، كذلك يجر إهمال قواعد التضمين وضوابطه إلى الخطأ في الأسلوب " [3] .

وجاء الأستاذ عباس حسن ليسند الاستاذ الإسكندري ، فيقول : " فنحن نثبت القولين بالقياس وبالسماع ، ولكننا نرجح قياسيته والقول بجواز استعماله للعارفين بدقائق اللغة وأسرارها ، ولا يصح أن نحظره عليهم " [4] .

وقد تتحقق قياسية التضمين عند أهل اللغة في مجمع اللغة ، والذين يرون أن التضمين قياسي لا سماعي وفق شروط أهمها :-

- يجب أن يتوفر الانسجام والمناسبة بين الفعلين .
- وجود القرينة التي من طريقها نلاحظ الفعل الآخر ، ويؤمن معها اللبس .
- وجود ملاءمة التضمين يحقق الذوق العربي ، وهم بذلك يأخذون التضمين من النحو البلاغي [5]

([1]) المصدر نفسه ، ص 53 .

([2]) النحو الوافي ، 590/2 .

([3]) كتاب الإملاء ، حسين والي ، دار القلم بيروت – لبنان ، ص82 .

([4]) النحو الوافي ، 2/ 583 .

([5]) ينظر: نفس المصدر ، 2 / 594 .

سادسا : اختلاف النحاة في حقائق التضمين :

قد تكلم النحاة في مسألة التضمين وكان حديثهم عن حروف الجر وإنابه بعضها عن بعض ، وقد ذكر ابن جني ذلك بقوله : " أعلم أن الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر ، وكان أحدهما يتعدى بحرف ، والآخر بحرف فإن العرب قد تتسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه إيذاناً بأن هذا الفعل في معنى ذلك الآخر ، فلذلك جيء معه بالحرف المعتاد مع ما هو في معناه" [1] .

([1]) الخصائص ، أبن جني : 306/2 .

وكما يعرف أن الغرض من التضمين هو : " إعطاء مجموع معنين وذلك أقوى من إعطاء معنى " [1] ، واستشهد الزمخشري بذلك في قوله تعالـى : ﴿وَلَا تَعْدُ عَيناكَ عَنْهُم﴾ [2] ، فالمعنى : لا تصرف عيناك ولا تتجاوزهم[3] .

وفي مسألة الاختلاف ، نجد أن النحاة اختلفوا في حقائق التضمين ، فقد يرى بعضهم أن التضمين مجاز مرسل ، واستدلوا على ذلك بان اللفظ استخدم لغير معناه ، ومن ناحية أخرى يرى آخرون أن التضمين فيه جمع بين الحقيقة والمجاز ، وذلك لدلالة الفعل المذكور على معناه بنفسه ، وعلى معنى المحذوف بالقرينة ، ويوضح آخرون أن الفعل المذكور استعمل في حقيقته ، لم يأخذ معنى غيره ، ولكن مع حذف حال مأخوذة من الفعل الآخر المناسب ، بمعنوية القرينة اللفظية ، وينظر فريق آخر أن اللفظ أستخدم في معناه الأصلي فيكون هو المقصود أصالة ولكن قصد بتبعيته معنى آخر ، فلا يكون من الكناية ولا الإضمار [4] .

وقد أورد السيوطي عشرة أفعال متضمنة معنى (صار) وهي آضى ، عاد ، آل ، رجع ، استحال ، تحوّل ، ارتد ، قعد ، ما جاءت [5] ، وزاد الزمخشري وأبو البقاء العكبري والجزولي وابن عصفور : غدا وراح[6] ، وألحق الفراء بها ثلاثة أفعال هي : اسحر ، أفجر ، أظهر [7] .

وهذه كلها دار بينها خلاف بين النحاة ، ويرى فريق من النحـــاة أن الفعلين (جاء ، قعد) مقصوران على السماع ، ولا يتجاوز بهما الموضع الذي استعملتهما العرب ، وجعله السيوطي مطرداً لقوة الشبه بينهما ، وبين (صار) وخرج على ذلك قولهم : "جاء البر قفيرين وجاء البر صاعين " ، وقولهم : " قعد لا يسأل حاجة إلا قضاها " [8] .

وإذا تضمنت الأفعال معنى (صار) فأنها تأخذ حكمها في امتناع مجيء خبرها جملة فعلية فعلها ماض ، لأن الجملة تدل على دوام الفعل في حين أن أتصاله بالزمن الماضي في الخبر يُفهم الأنقطاع ، وهنا يحصل

([1]) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، محمود بن عمر الزمخشري ، ، طهران ، آقتاب ، د.ت ، 2/ 481 .
([2]) سورة الكهف ، الآية 28 .
([3]) تفسير البحر المحيط ، أبي حيان الأندلسي ، ج6، ص114.
([4]) ينظر: التضمين في النحو العربي، منرة محمود الحمد ، ، بحث منشور في مجلة جامعة الملك سعود ، لسنة 1993 ، الرياض ، السعودية ، ص 442-443 .
([5]) ينظر: همع الهوامع ، السيوطي : 2/ 71 .
([6]) ينظر: كتاب المقدمة ، باب في ذهاب العلم ، أخرجه الدرامي في سننه : ص248 .
([7]) ينظر: كتاب الحدود للفراء : ص97 .
([8]) ينظر:همع الهوامع ، السويطي ، 2/ 74 .

التناقض في الوقت الذي جوز النحاة مجيء الفعل الماضي خبراً لهذه الأفعال إذا لم ترد بمعنى صار ، وأشترط الكوفيون اقتران الفعل الماضي بـ(قد) ظاهرة أو مقدرة ، وذلك لتقريب الماضي من الحال [1].

ومن الافعال المتضمنة معنى أفعال اخرى ، ما يتضمن معنى (نعم وبئس) التي تعني على المدح أو الذم ، وهما فعلان جامدان لإنشاء المدح والذم ، ملازمان لصيغة واحدة ، مختلفان عن سائر الأفعال بعدم التصرف والجمود ، لما تضمناه من زيادة على معنى الخبر تكمن في المبالغة في معنى المدح أو الذم ، وهذا الرأي واضح عند النحاة [2] .

ومما تضمن معنى (نعم ، وبئس) الفعلان (حبذا ولا حبذا) وأصل (حبذا) و(حبب) بالضم أي : صار حبيباً ، فأدغم وألزم منع التصرف والجمود ، واستعمل في المدح ، وتدخل عليه (لا) النافية ، فيستعمل في الذم[3] ، وقد اجتمعا في قول زياد بن منقذ العدوي :

ألا حَبذا عاذري في الهَوى ولا حَبّذا الجاهلُ العاذِلُ [4]

يرى سيبويه [5] أن (حب) فعل ، و(ذا) فاعله ، ويلزم الإفراد والتذكير كونهما كالأمثال التي لا تغير ، ويرى المبرد [6] أنه أسم لزم طريقة واحدة لأن (ذا) يقع على كل شيء فهو اسم مبهم ، ورأي سيبويه في هذا الاختلاف هو الراجح عند النحاة .

الخاتمة

في ختام هذه الرحلة لا بد من الإشارة إلى جملة من النتائج يمكن إجمالها على النحو الأتي :-

1- تبين أن التضمين يأتي بمعنى أخذ شاعر قول شاعر آخر وبناء شعره أو بعض شعره عليه .

2- في هذا الباب من التضمين يتبين أن أول من حام حول هذا المعنى ابن سلام الجمحي في كتابه طبقات فحول الشعراء في أكثر من موضع .

([1]) ينظر : المصدر نفسه ، 2/ 72 .
([2]) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين ، أبو البركات عبد الرحمن الأنباري ، بيروت – لبنان ، دار الفكر للنشر والتوزيع ن د.ت ، مسألة رقم (14) .
([3]) ينظر: المصدر نفسه .
([4]) ينظر: جامع الدروس العربية ، الشيخ مصطفى الغلاييني، ج1، ص76 .
([5]) ينظر: الكتاب ،سيبويه ، 2/ 180 .
([6]) ينظر: المقتضب ، محمد بن يزيد المبرد ، تحقيق : محمد عبد الخالق عضيمة ، القاهرة ، مطبعة السعادة ، 1399 ، 2/ 143 .

3- تعددت فوائد التضمين في الدرس النحوي ، عن طريق الدعوة بالأنس بالعربية عن طريق التعرف على أسرارها ومعانيها .

4- برز دور التضمين في كثير من الآيات القرآنية والأبيات الشعرية ، وذلك من طريق تفسير الظواهر النحوية وتوضيح المعنى .

5- التضمين موضوع مختلف عليه عند النحاة ، فمنهم من قال موضوعا سماعيا لأنه تضمين مجاز، وأن اللفظ استعمل في غير ما وضع بقرينة ، جعل التضمين سماعيا لان المجاز عندهم سماعي ، ومنهم من قال موضوعا قياسيا لأنه يرى أن التضمين حقيقة ، وهنا جاء قرار المجمع العربي الذي اقر بقياسية التضمين وفقا لشروطه الثلاثة .

المصادر

1- الإتقان في علوم القرآن ، السويطي ، المتوفى 911هـ ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ناشرون ، دمشق- سوريا ،ط1 ، 2008 .

2- الأشباه والنظائر في القرآن الكريم ، مقاتل بن سليمان البلخي ، دراسة وتحقيق : عبد الله محمود شحاته ، طبعة القاهرة ، 1975 .

3- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين ، ابو البركات عبد الرحمن الأنباري ،المتوفى 1181 ، بيروت – لبنان ، دار الفكر للنشر والتوزيع د.ت

4- البحر، ابو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الأندلسي ، تحقيق : مصدقي حمد جميل ، دار الفكر ، بيروت – لبنان ، 1420هـ .
5- البديع ، ابن المعتز عبد الله ، المتوفى 908م ، دار المسيرة ، بيروت – لبنان ، ط3 ، 1982 .
6- البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث، لأبي البركات بن الانباري، تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب ، مطبعة دار الكتب ،1970.
7- تاج العروس ، الزبيدي ، المتوفى 1790م ، محمد بن محمد بن محمد أبو الفيض ، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان ، د.ت
8- تأويل مشكل القرآن ، ابو محمد بن عبد الله بن قتيبة الدينوري ، المتوفى 276م ،علق عليه إبراهيم شمس الدين ، د ت ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان .
9- التضمين النحوي في القرآن الكريم ، فاضل محمد نديم ، دار الزمان للنشر والتوزيع ، السعودية ، ط1 ، 2005
10- التضمين في التراث النقدي والبلاغي ، ربى عبد القادر أحمد الرباعي ، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها ، جامعة اليرموك ، 1997.
11- التضمين في النحو العربي ، منيرة محمود الحمد ، بحث منشور في مجلة جامعة الملك سعود ، لسنة 1993 ، الرياض ، السعودية .
12- تناوب حروف الجر في لغة القرآن ، محمد حسن عواد ، دار الفرقان للنشر والتوزيع ، ط1 ، 1982 .
13- تنوير المقباس ، عبد الله بن جمعة ، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1992.
14- جامع البيان ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي ابو جعفر الطبري ، المتوفى 310هـ ، تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار هجر للطباعة والنشر ، 2001.
15- جامع الدروس العربية ، الشيخ مصطفى الغلاييني، ج1، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت ، الطبعة الثلاثون ، 1994.
16- حلية المحاضرة في صناعة الشعر ، الحاتمي ، ابو علي محمد بن الحسن بن المظفر، المتوفى388هـ ، تحقيق : جعفر الكناني ، دار الرشيد للنشر والتوزيع ، العراق ، 1979 .
17- الخصائص ، ابن جني ، المتوفى 392هـ ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان ، د.ت .
18- روح البيان ، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي , المولى أبو الفداء (المتوفى: 1127هـ) ، دار الفكر ، بيروت – لبنان .

19- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، شهاب الدين الآلوسي ، المتوفى 1270هـ ، دار الفكر ، بيروت – لبنان ، د.ت .
20- شرح المفصل ، ابن يعيش ، المتوفى 643هـ ، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان .
21- الشعر والشعراء ، ابن قتيبة ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، تحقيق : مفيد قمحية ، دار الكتب العلمية ، بيروت – 1985.
22- الصحاح ، تاج اللغة وصحاح العربية ، إسماعيل بن حماد الجوهري ، المتوفى 1002م ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، دار الملايين ، بيروت – لبنان ، 1984
23- طبقات فحول الشعراء ، محمد بن سلام الجمحي ، المتوفى 845م ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، دار المدني للنشر والتوزيع ، جدة– السعودية .
24- القاموس المحيط ، الفيروز آبادي ، المتوفى 1414 ، محمد بن يعقوب بن محمد أبو طاهر مجد الدين الشيرازي ، دار البابي الحلبي وأولاده للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، ط2
25- القرآن الكريم .
26- الكتاب ، سيبويه ، عمرو بن عثمان ، تحقيق : عبد السلام هارون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة – مصر ، 1977 .
27- كتاب الإملاء ، حسين والي ، دار القلم بيروت – لبنان ، د ت .
28- كتاب شرحا أبي العلاء والخطيب التبريزي على ديوان أبي تمام دراسة نحوية صرفية، رسالة ماجستير ، إيهاب عبد الحميد عبد الصادق سلامة .
29- الكشاف ، جار الله الزمخشري ، المتوفى 1143م ، دار الفكر للطباعة والنشر ط1 ، 1977 .
30- لسان العرب ، أبن منظور ، المتوفى 1311م ، محمد بن جمال الدين الأنصاري الأفريقي المصري ، تحقيق : عبد الله على الكبير وآخرون ، دار المعارف ، القاهرة ، د.ط ، د.ت
31- المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى وآخرون ، دار الدعوة للطباعة والنشر ، أستانبول ، ط1 ، 1998
32- مغني اللبيب عن كتب الاعاريب ، جمال الدين الأنصاري ، المتوفى 1360 ، تحقيق : مازن المبارك ومحمد علي حمد الله ، دار الفكر ، بيروت – لبنان ، 1979 .
33- مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس الرازي ، المتوفى 1004 ، تحقيق : عبد السلام هارون ، دار إحياء التراث العربي ، ط1 ، 2002.
34- المقتضب ،محمد بن يزيد المبرد ، المتوفى 898م ، تحقيق : محمد عبد الخالق عضيمة ، القاهرة ، مطبعة السعادة ، 1399

35- الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري ، الحسن بن بشر الآمدي ، المتوفى 980م ، تحقيق : أحمد صقر ، دار المعارف للنشر والتوزيع ، مكتبة الخانجي ، 1994.

36- الموشح ، المزرباني ، المتوفى 994م ، أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار النهضة للنشر ، القاهرة ، مصر ، 1965 .

37- النحو الوافي ، عباس حسن ، المتوفى 1979 ، دار المعارف للنشر والتوزيع ، مصر – القاهرة ، د.ت .